القيم التربوية لدى الماوردي

إعداد

أ . د / راشد محمد راشد سليمان

الأستاذ المساعد بقسم العقيدة والفلسفة بالكلية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

لله رب العالمين الذي خلق فسوى وقدر فهدى ، وأخرج المرعى ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله إمام المتقين وسيد الأولين والآخرين اللهم صلي وسلم وبارك على هذا الرسول الأمين وعلى إخوته من الأنبياء والمرسلين وآل بيته الأكرمين وأصحابه الطيبين الطاهرين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ....

ثم أما بعد :

فإن التربية هي الوسيلة الوحيدة إلى نهضة الأمم ورقيها والأمة التي تهتم بالشيء الذي يمثل مستقبلها وتعمل على تنميته وبنائه بدنياً ومعنوياً وكذلك تسعى إلى تنمية أفرادها وتحترم إنسانيتهم لحقيقة بأن توصف بأنها أمة راقية ومتحضرة تسعى لبناء مجتمع متطور ومتجدد وذلك لأن التربية إذا كان من مهامها أن تحافظ على ذاتية الأمة وهويتها فإنها أيضاً تعمل على تطوير المجتمعات وتجديد ثقافتها بما يساعدها على مواجهة المشكلات وحل المعضلات التي تقابلها .

وإذا كانت الأمم السابقة – على أمة الإسلام – قد اهتمت بهذا الجانب فإنه قد جانبها الصواب حيث قصرت التربية على جانب واحد وأهملت الجوانب الأخرى فمثلاً اليونان نجد منهم من اهتم بالتربية الجسدية واعتبرها هي الأساس كما فعلت أسبرطه ومنهم من اهتم بالجانب العقلي فقط كما فعلت مدرسة أثينا كذلك كانت التربية في العصور الوسطى المسيحية حيث ارتبطت التربية بالكنسية فغلب عليها طابع القهر الجسدي والإعداد العقلي والخلقي واهتمت بالحياة الأخرى إلى حد مبالغ فيه وأهملت الحياة الدنيا وذلك نتيجة لنظرة المسيحية إلى الإنسان باعتباره ابن الخطيئة .

أما عند العرب في الجاهلية فقد كانت التربية عندهم تعني إعداد النشئ للحياة إعداداً تلقائياً حيث كان يقوم الكبار فيها بدور المعلمين وذلك عن طريق مزاولة الأنشطة المختلفة التي تعتمد عليها حياة الجماعة وفي أثناء ذلك يألف

الصغار المتعلمون هذه الأنشطة ويتشربونها شيئاً فشيئاً من خلال المخالطة ثم يحاولون محاكاتها بتقليد الكبار .

وإلى جانب هذه التربية التلقائية كانت توجد أنواع أخرى من التربية المنظمة أو المقصودة أو الهادفة والتي كانت تهدف إلى أن ترقى بعقل الإنسان ونفسه وأخلاقه فلقد كان للعرب : خاصة أهل المدن : أسواق خاصة لتعليم الخطابة والشعر وكان الحكماء هم العلماء الذين يرجع إليهم فيما يعرض من مشاكل وكان منهم في الحكمة مثل حكماء اليونان – وإن لم يكونوا أعلى كعباً وأعظم قدراً – إلا أنهم كانوا قلة يمكن حصرهم فضلاً عن تمايز هدفهم ، ثم جاء الإسلام فاكتسبت التربية فيه معان جديدة وتطورت بصورة شاملة وأصبح للقيم التربوية مكانتها لإصلاح الفرد والمجتمع والأمم والشعوب على منهج قويم كما أن هذه القيم اكتسبت الدوام والثبات كما أنها شملت العقيدة والأخلاق والتشريع كما أنها واءمت بين متطلبات الجسم والروح والفرد والمجتمع والإنسان وغيره من المخلوقات وفوق هذا وذاك فإن الواضع لهذه القيم التربوية لهو عالم بمن وضعت له ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ ، كما أنها خالدة لا تختلف باختلاف الأزمنة ولا تتغير بتغير الأمكنة كما أنها كاملة غير منقوصة .

وقد اهتم علماء الإسلام ومفكروه بمبحث القيم التربوية كل فيما يخصه فتناولها أصحاب المذاهب الفلسفية في أبحاثهم وأولوها عناية خاصة حيث إنها تمثل الأساس الثالث من أسس الفلسفة التقليدية . كما تناولها علماء السلوك في رياضاتهم وكانت هذه المسألة من اختصاص المشايخ أمام مريديهم لبيان معالم الطريق . كما تناولها علماء الأخلاق في أبحاثهم ، وكان من الذين أولوها عناية خاصة في أبحاثه الإمام أبو الحسن الماوردي (٣٦٤ – ٤٥٠هـ) صاحب كتاب أدب الدنيا والدين حيث علم من أحداث عصره ما وصلت إليه الأمة الإسلامية من كثرة المذاهب والخلافات حول السلطة وما آل إليه أمر المسلمين من ضعف فقام بمعالجة هذه المسائل بما يحقق للأمة الإسلامية عزها ويعيد إليها مجدها ، كل ذلك قبل أن تعرف أوروبا شيئاً عن العلم والحضارة وأصول التربية وقيمها .

ولقد دفعني لاختيار هذا الموضوع (القيم التربوية لدى الماوردي) عدة أسباب من أهمها ما يلي :

(١) أن مبحث القيم وإن كان هو الأساس الثالث الذي تقوم عليه الفلسفة التقليدية بعد مبحثي الوجود والمعرفة فإنه يعد لدى فلاسفة الإسلام مقدماً على أخويه

حيث إن فلسفة الإسلام تنظر إلى قيمة الشيء قبل البحث فيه فإن كان له قيمة قامت ببحثه وأولته العناية اللائقة به وإن لم يكن له قيمة فلا تعره أي اهتمام .

(٢) أن علماء التربية وأصولها يعكفون على دراستها من خلال ما كتبه علماء الغرب وما تحمله الثقافة الأوربية من مناقضات ونسي هؤلاء وأولئك أن خير من يمثل التربية الصحيحة وبيان معالمها هم علماء الإسلام ومفكروه .

(٣) أن الإمام الماوردي يعتبر خير ممثل للثقافة الإسلامية في معالجته للقيم التربوية فهو لم يجنح إلى الجانب النظري مغفلاً جانب العمل كما جنح الفلاسفة كما أنه لم يهمل الجانب النظري شأن أصحاب نزعة التطرف في التصوف بل إنه واءم بين النظر والعمل بين النظرية والتطبيق .

(٤) أن الإمام الماوردي في معالجته للقيم التربوية لم يقتصر على جانب واحد من جوانب التربية ولكنه شمل جميع الجوانب التربوية (الفرد والمجتمع – السائس والمسوس – الراعي والرعية) كما تناول الفرد من جميع جوانبه وملكـــاته .

أما عن المنهج الذي اتبعته في هذه الدراسة فيتمثل في المنهج الاستردادي والاستنباطي والاستقرائي والجدلي ، وهو ما يعرف بالمنهج التكاملي ، حيث إن الاعتماد على نوع واحد من هذه الأنواع أمر عسير التحقيق والتطبيق كما انه لا يتفق وطبيعة البحث العلمي في هذا الموضوع ومن ثم لا يحقق الغاية المنشودة من هذه الدراسة .

أما عن الخطوات العملية لهذا المنهج فإنها تتمثل في مراعاة أطراف النسبة في / العنوان ومن ثم جاءت على النحو التالي :

(١) قمت بتقسيم القضية المراد بحثها إلى جزئياتها الأصلية وهو ما يعرف بعملية التحليل ثم أقوم ببحث كل جزئية على حدة .

(٢) قمت بالربط بين الجزئيات بعد تحليلها ربطاً عقلياً يقوم على التناسق الفكري بين هذه الجزئيات وهو ما يعرف بعملية التركيب .

(٣) قمت بالرجوع إلى المراجع الأصلية لمن أكتب عنه من خلال ما كتبه هو عن نفسه أو ما كتبه تلاميذه عنه أو ما كتبه معاصروه بشرط ألا يخالفه في المذهب وهو ما يعرف بالاسترداد .

(٤) قمت بالمقارنة بين ما كتبه الماوردي وغيره من علماء الإسلام وما كتبه علماء الغرب في بعض المسائل التي يوجد فيها تشابه أما المسائل التي يظهر فيها التباين فهي بينة بذاتها ولا تحتاج إلى مقارنات وهو ما يعرف بالمنهج المقارن .

وقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة ، وتمهيد وأربعة مطالب وخاتمة أما المقدمة فقد اشتملت على أهمية الموضوع وأسباب اختياره وخطة البحث ومنهج الباحث .

وبالنسبة للتمهيد فقد ضمنته تعريف المصطلحات التي يقوم عليها البحث (القيم – التربية) ثم لما كان مصطلح التربية من المصطلحات الحديثة والتي تناولها علماء الإسلام ومفكروه تحت مسميات أخرى كالأدب والتزكية وترويض النفس ورياضتها والسياسة كان لابد من بيان المراد من هذه الألفاظ وبيان مدلولاتها . وأنها هي بعينها مفهوم التربية في العصر الحديث .

أما المطلب الأول فكان بعنوان مفهوم التربية لدى الماوردي وفيه تحدثت عن مفهوم التربية عنده وعن أهميتها للإنسان حيث إنه هو المحور الذي تدور حوله التربية .

والمطلب الثاني جاء بعنوان أهم ملامح الفكر التربوي وميدانه في فكر الماوردي وبينت أن ميادين التربية لديه تشمل التربية الروحية والعقلية والجسمية والخلقية كما أنها تشمل التربية الاجتماعية والعلمية والعملية .

أما المطلب الثالث فكان بعنوان العوامل المؤثرة في التربية لدى الماوردي وقد قسمها الماوردي إلى نوعين من العوامل : (عوامل بيولوجية – وعوامل خارجية) وبينت كيف عالج الماوردي كل عامل على حدة .

أما المطلب الرابع فقد جاء تحت عنوان أهداف التربية الإسلامية لدى الماوردي وبينت أن أهداف التربية منها ما هو ديني واجتماعي وذاتي ومنها ما هدفه حزبي ونفعي .

أما الخاتمة فقد ضمنتها أهم النتائج والتوصيات .

وبعد : فهذا جهد المقل فإن كان فيه من صواب فالتوفيق من الله وإن كانت الأخرى فمني ومن الشيطان وما إليها سعيت وحسبي أني بشر والكمال لله وحده، وأسأل الله أن يوفقني لما يحبه ويرضاه .

الباحث

التمهيد في تعريف المصطلحات

أولاً : تعريف القيمة :

تطلق القيمة في اللغة على معان منها التقدير والاعتدال والتوجه والعدل ونظام الأمر وعماده وملاكه يقول صاحب مختار الصحاح (القيمة واحدة القيم وقوم السلعة تقويماً .... والاستقامة الاعتدال يقال استقام له الأمر ومنه قوله تعالى ﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ﴾ أي التوجه إليه دون الآلهة . وقوم الشيء تقويماً فهو قويم أي مستقيم ... والقوام بالفتح العدل قال الله تعالى ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً﴾ وقوام الرجل أيضاً قامته وحسن طوله وقوام الأمر بالكسر نظامه وعماده ، وقوام الأمر أيضاً ملاكه الذي يقوم به وقد يفتح) (١) .

ويذكر صاحب اللسان عدة معان أخرى حيث يقول (القيمة واحدة القيم وأصله الواو لأنه يقوم مقام الشيء والقيمة ثمن الشيء بالتقويم نقول تقاوموه فيما بينهم وإذا انقاد الشيء واستمرت طريقته فقد استقام لوجهه ويقال كم قامت أي كم بلغت وقد قامت الأمة مائة دينار أي بلغ قيمتها مائة دينار والاستقامة التقويم لقول أهل مكة ! استقمت المتاع أي قومته ، ويقال قامت بفلان دابته إذا كلت وأعييت ، والقائم بالدين المستمسك به الثابت عليه ، وقائم السيف مقبضه ، والقوام داء يأخذ الغنم في قوائمها منه ، وقاموا بهم جاوزوهم بأعدادهم وأطاقوهم وفلان لا يقوم بهذا الأمر لا يطيق عليه والقيم السيد وسائس الأمر وقيم القوم الذي يقومهم ويسوس أمرهم ، وقيم المرأة زوجها ، والقيوم والقيام والمدبر واحد وقال الزجاج القيوم والقيام في صفة الله تعالى وأسمائه الحسنى القائم بتدبير أمر خلقه في شئونهم ورزقهم وعلمه بأمكنتهم (٢) .

وبهذا يتضح أن مفهوم القيمة في اللغة يأتي بمعنى التقدير والاعتدال والعدل والتوجه والثبات والاستقامة ونظام الأمر وملاكه وعماده كما يأتي بمعنى

---

(١) مختار الصحاح للإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ص٥٥٧ ، ٥٥٨ نهضة مصر بدون تاريخ .

(٢) لسان العرب لابن منظور جـ١٢ ص٢٢٥ – ٢٢٨ دار بيروت الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٠م .

الرعاية والعناية والعلم ..... الخ ، أما في الاصطلاح : فقد كثرت وجهات نظر العلماء بشأن تحديد مفهوم القيمة الأمر الذي أدى إلى كثرة التعريفات واختلافها : فيعرفها صاحب الكليات بأنها عبارة عن قدر ماليته بالدراهم والدنانير بتقويم المقومين وهي مساوية له بخلاف الثمن فإنه يكون ناقصاً وزائداً) (١) وإلى ذلك ذهب التهانوي حيث يقول (فالقيمة ما قوم به مقوم والثمن قد يكون مساوياً للقيمة وقد يكون زائداً منه وقد يكون ناقصاً عنه ، والحاصل أن ما يقدره العاقد إما أن يكون عوضاً للمبيع في عقد البيع يسمى ثمناً وما قدره أهل السوق وقرروه فيما بينهم وروجوه في معاملاتهم يسمى قيمته) (٢) .

وهذا يعني أن قيمة الشيء لا يعرفها إلا أهل الاختصاص مما قرروه واتفقوا عليه فهو قيمته وهذا التعريف الذي ذكره الكفوي والتهانوي للقيمة هو الذي يقول به علماء الاقتصاد في عصرنا أما عن تعريف القيمة من وجهة النظر الموضوعية فإنها تعرف بأنها (ما يتميز به الشيء من صفات تجعله مستحقاً للتقدير كثيراً كان أو قليلاً فإن كان مستحقاً للتقدير بذاته كالحق والخير والجمال كانت قيمته مطلقة وإن كان مستحقاً للتقدير من أجل غرض معين كالوسائل التعليمية والوثائق التاريخية كانت قيمته إضافية) (٣) .

أما عن تعريف القيمة من وجهة نظر علماء الأخلاق فإنهم يعنون بها (ما يدل عليه لفظ الخير بحيث تكون قيمة الفعل تابعة لما يتضمنه من خيرية فكلما كانت المطابقة بين الفعل والصورة الغائية للخير أكمل كانت قيمة الفعل أكبر وتسمى الصور الغائية المرتسمة على صفحات الذهن بالقيم المثالية وهي الأصل التي تتبني عليه أحكام القيم) (٤) .

---

(١) الكليات للعلامة أبي البقاء الكفوي ص٣٢٩ مؤسسة الرسالة الطبعة الثانية سنة ١٩٩٨م .

(٢) كشاف اصطلاحات الفنون – للتهانوي ص٢٤٠ الطبعة الأولى سنة ١٩٩٨م دار الكتب العلمية بيروت .

(٣) المعجم الفلسفي للدكتور جميل صليبا جـ٢ ص٢١٣ الشركة العالمية للكتاب سنة ١٩٩٤م .

(٤) المرجع السابق ج٢ ص٢١٣ .

وإذا كانت التعريفات السابقة للقيم تعريفات خاصة مردها حصر المفهوم في مجاله الخاص فإن هناك تعريف عاماً للقيم شاملاً لكل ما هو مادي ومعنوي ونعني به الأحكام على الأشياء والمواقف ، على السلوك بوجه عام على الفكر أو الفعل أو الأفعال أحكام تقويمية بالخير أو الشر بالخطأ أو الصواب الانفعال بالقبح أو الجمال كما أنها أحكام تفضيلية أي اختيار وتفضيل لسلوك ما أو نشاط ما يشعر معه صاحبه أن له مبرراته بناءاً على المعايير التي تعلمها من الجماعة وخبرها في حياته المعاشة في علاقاته المختلفة من خلال الثواب والعقاب ودرجة الإشباع لحاجاته المادية والمعنوية المختلفة (١) .

وهذا التعريف للقيم وإن كان أعم مما سبقه من تعريفات إلا أنه غير ثابت حيث إنه راجع إلى المعايير التي تعلمها من الجماعة وخبرها في حياته المعاشة وهي بطبيعة الحال مختلفة من شعب لآخر ومن وقت لآخر وهذا يعني أنها غير ثابتة كما أنها غير محددة لذا كان للإسلام مكانته في تحديد مفهوم القيمة فهي في الإسلام تعني (المعايير الثابتة الخالدة التي تمثل موازين العقائد والشرائع والسلوك) (٢) وقيل عنها أنها (مجموعة من الأمور التي تصنع نسيج الشخصية الإسلامية وتجعلها متكاملة قادرة على العمل من أجل النفس والأسرة والعقيدة) (٣) .

ولعل من أفضل التعريفات للقيم الإسلامية هو ما ذهب إليه الدكتور محمد كفافي حيث عرفها بأنها (تعني المعتقدات والأحكام التي مصدرها القرآن والسنة ويلتزم بها الإنسان المسلم ومن ثم يتحدد في ضوئها علاقته بربه واتجاهاته نحو حياته في الآخرة كما يتحدد موقعه من بيئته الإنسانية والمادية ، فهي معايير يتقبلها المجتمع المسلم وأعضائه من الأفراد المسلمين ومن هنا فهي تشكل

---

(١) الإنسان وقضاياه النفسية والاجتماعية د/ سعد المغربي ص٢٢٠ الهيئة المصرية المعربة للكتاب سنة ١٩٩٣م .

(٢) القيم الإنسانية بين الإسلام والنظم المعاصرة د . أنور عبد الجليل رضوان، ص١٤ ، مخطوط كلية أصول الدين بالمنوفية (رسالة دكتوراه) .

(٣) المرجع السابق .

وجدانهم وتوجه سلوكهم على مدى حياتهم لتحقيق أهداف لها جاذبيتها حيث يؤمنون بها) (١) .

وبعد هذه التعريفات يمكنني أن استخلص خصائص القيم الإسلامية وتتضمن ما يلي :

١- أن القيم في الإسلام شاملة للمعتقدات والأحكام والسلوك والشعور والوجدان وشمولها نابع من شمول الأساس الذي تقوم عليه .

٢- أن القيم في الإسلام عامة لجميع أفراد المجتمع وحداناً أو جماعات بعلاقاتها الثلاثة علاقة الإنسان بنفسه ، علاقته بربه وخالقه ، علاقته بغيره عموماً .

٣- أن القيم في الإسلام ثابتة غير متغيرة وهذا يعني أن لها وجوداً مستقلاً عنا قائماً بذاته مثل أي شيء في العالم وأنها لا تخضع لأية حدود زمانية كانت أو مكانية .

٤- أنها ليست من صنع العقل ذاته كما يدعى العقليون إنما هي من صنع الله الذي خلق الإنسان ورسم له طريقه وحدد له معالمه وجعله أهلاً لخلافته في الأرض .

ثانياً تعريف التربية :

أولاً : التربية لغة :

كلمة التربية مصدر الفعل (رب) ومنه الرب ويطلق في اللغة على المالك والسيد والمدبر والمربي والقيم والمصلح ولا يقال الرب لغير الله إلا بالإضافة : ورب الأسرة ورب الإبل ونحو ذلك : ورب يرب . جمع وزاد ولزم وأقام . ورب الولد ربا ورباه تربية وليه وتعهده بما يغذيه وينميه ويؤدبه .أي أمده بما

---

(١) تصنيف مقترح لبعض القيم الإسلامية للدكتور محمد رشاد كفافي ص٦٩ بحث منشور حولية كلية التربية جامعة الأزهر العدد الرابع عشر سنة ١٩٨٩م .

يزيده مبني ومعنى وكذلك جاءت الكلمة من مصدر الفعل ربي بنفس المعنى السابق (١) .

ويرى ابن فارس . أن الراء مع الباء تدل على أصول .

الأول : إصلاح الشيء والقيام عليه فالرب المالك والخالق والصاحب . والرب المصلح للشيء والله جل ثناؤه الرب لأنه مصلح أحوال خلقه .

الثاني : لزوم الشيء والإقامة عليه وهو مناسب للأصل الأول .

الثالث : ضم الشيء للشيء وهو أيضاً مناسب لما قبله . ومتى أمعن النظر كان الباب كله قياساً واحداً (٢) أي يدور على معنى الرعاية المستمرة لشيء ما وإمداده بما يصلحه وينميه .

ويعرفها المحدثون بأنها (تنمية الوظائف النفسية بالتمرين حتى تبلغ كما لها شيئاً فشيئاً تقول ربيت الولد إذا قويت ملكاته ونميت قدراته وهذبت سلوكه حتى يصبح صالح للحياة في بيئة معينة . وتقول تربي الرجل إذا أحكمته التجارب ونشأ نفسه (٣) .

ثانياً : التربية اصطلاحاً :

توجد عدة تعريفات لتربية لدى المعنيين بالأمر من أسلافنا منها على سبيل المثال :

١- تعريف الكفوي حيث عرفها بأنها (تبليغ الشيء إلى كماله شيئاً فشيئاً) (٤) .

٢- تعريف الراغب الأصفهاني حيث قال (الرب في الأصل : التربية وهي إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حد التمام) (٥) .

---

(١) لسان العرب للعلامة ابن منظور جـ٦ ، ص٦٩ وما بعدها ، دار صادر بيروت ، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٠م .
(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ، جـ٢ ص٣٨١ ، ٣٨٢ .
(٣)المعجم الفلسفي للدكتور جميل صليبا ١ ، ٢٦٦ ، سنة ١٩٩٤م .
(٤) الكليات لأبي البقاء الكفوي ، ص٣١٤ ، مؤسسة الرسالة سنة١٩٨٠م .
(٥) المفردات للراغب الأصفهاني، ص١٩٠ دار المعرفة بيروت سنة ٢٠٠١م .

٣- تعريف الإمام الغزالي وفيه بشرح معنى التربية على النحو التالي (معنى التربية يشبه عمل الفلاح الذي يقلع الشوك ويخرج النباتات الأجنبية من بين الزرع ليحسن نباته ويكمل ريعه) (١) .

فالغزالي يوضح عمل المربي بأنه مثل عمل الفلاح حيث يقوم كلاهما بإخراج الفاسد من زرعه الذي يربيه كي يخرج حسناً كاملاً ويوضح هذا حديث الغزالي قبل هذا مباشرة عن حاجة السالك إلى مرشد ليخرج الأخلاق السيئة منه بتربيته ويجعل مكانها خلقاً حسناً وإذا كان تعريف كل من الكفوي والأصفهاني تعريفاً اصطلاحياً فإن تعريف الغزالي تعريف تمثيلي حيث لجأ الغزالي فيه إلى شرح المعنى بذكر مثال له ولم يقصد إلى تقديم تعريف اصطلاحي تقليدي للتربية وإن كان ما قدمه من شرح قريب جداً من التعريف الاصطلاحي الذي قدمه كل من أبي البقاء والراغب الأصفهاني .

٤- الإمام الرازي : لقد تعرض الإمام لبيان مفهوم التربية في معرض حديثه عن الاية الكريمة ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ إذ يذكر أن الله هو الرب وأن الإنسان كان بذاته وصفاته معدوماً ثم صار موجوداً لذا فلابد من خالق للذات والصفات وهذا الخلق والإيجاد تربية فدل ذلك على أني ربك وأنت مربوبي (٢) أي إن التربية عنده هي الخلق والإيجاد وفي معرض حديثه عن الآية الكريمة ﴿وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (الإسراء : ٣٤) : يذكر أن التربية هي التنمية حيث يقول (والتربية هي التنمية وهي من قولهم ربا الشيء إذا انتفخ) (٣) .

ثم بين وجود تربية الله للعبد وأنها كثيرة غير متناهية ويذكر ثلاثة أمثله على ذلك **المثال الأول** : خلق الإنسان من نطفة الأب وانتقالها إلى رحم الأم وتحولها وتقلبها .

---

(١) أيها الولد للإمام الغزالي ضمن مجموعة القصور العوالي ، ص١٣٤ مكتبة الجندي بدون تاريخ

(٢) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) للإمام الرازي جـ٣٢ ، ص١٥ ، دار الكتب العلمية .

(٣) السابق جـ٢٠ ، ص١٥٣ .

المثال الثاني : خلق النبات في الأرض وما فيه من الحكم واللطائف .

المثال الثالث : خلق الكواكب وما فيها من المنافع والبدائع لبني الإنسان والحيوان (١)..

وأرى أن ما ذكره الكفوي والأصفهاني والرازي لا يختلف في جوهره وإن بدأ اختلاف في اللفظ إلا أن الحقيقة واحدة فالتربية : هي تبليغ الشيء إلى كماله شيئاً فشيئاً وذلك لا يكون إلا بتتبع أحواله حالاً فحالاً كي يصل إلى حد التمام وهو في هذه الحالة – التربية – ينمو شيئاً فشيئاً : وما ذهب إليه علماء الإسلام في تعريفهم للتربية هو ما قال به المحدثون من التربويين (٢) على أنه ينبغي أن أشير إلى أن هناك عدة ألفاظ مرادفة لكلمة التربية عند علماء الإسلام منها الأدب ، الرياضة ، التزكية ، السياسة ، لذلك يحتم على المقام أن أعرفها حتى تتضح الأمور ويزول اللبس .

ثالثاً : تعريف الأدب :

لقد وردت لفظة الأدب في اللغة العربية بعدة معان بعضها مرادف للتربية والآخر قريب منها يقول ابن منظور (الأدب الأديب من الناس سمي أدباً لأنه يؤدب الناس إلى المحامد وينهاهم عن المقابح وأصل الأدب الدعاء ومنه قيل للصنيع يدعي إليه الناس مدعاة ومأدبة ..الأدب أدب النفس والدرس والأدب الظرف وحسن التناول وأدبه فتأدب علمه واستعمله الزجاج في الله عز وجل فقال وهذا ما أدب الله تعالى به نبيه (ﷺ) وفلان قد استأدب بمعنى تأدب ...) (٣)

ويعرفه الجرجاني بأنه عبارة عن معرفة ما يحترز به عن جميع أنواع الخطأ وأدب القاضي وهو التزامه لما ندب إليه الشرع من بسط العدل ورفع الظلم وترك الميل) (٤) .

---

(١) المرجع السابق جـ١ ص١٨٨ .
(٢) انظر تعريف المحدثين التربويين : المعجم الفلسفي د. جميل صليبا جـ١ ، ص٢٦٦ .
(٣) لسان العرب لابن منظور ، جـ١ ، ص٧٠ .
(٤) التعريفات للشريف الجرجاني ص١٠ .

ثم يتوسع التهانوي في تعريفه فيذكر أنه يطلق على :

حسن الأحوال في القيام والقعود وحسن الأخلاق واجتماع الخصال الحميدة.

كل رياضة محمودة يخرج بها الإنسان إلى فضيلة من الفضائل .

ملكة تعصم من قامت به عما يشينه (١) .

ويفرق التهانوي بينه وبين التعليم فيذكر أن الأدب يتعلق بالمرادات والتعليم بالشرعيات فالأول عرفي والثاني ديني (٢) .

ومما لاشك فيه أن هذه المعاني تساوي التربية والأخلاق وقد ورد لفظ الأدب في السّنة النبوية بمعنى مساو أو قريب جداً من معنى التربية وذلك في قوله (ﷺ) : (أدبني ربي فأحسن تأديبي) فالرسول استخدم لفظ الأدب بمعنى التعليم والتهذيب ورياضة النفس واكتمال الخلق وهذه كلها من معاني التربية وهذا واضح في تعقيب الغزالي على هذا الحديث بقوله (والأدب تأديب الظاهر والباطن فإذا تهذب ظاهر العبد وباطنه صار صوفياً أديباً ومن ألزم نفسه آداب السنة نور الله قلبه بنور المعرفة ولا مقام أشرف من متابعة الحبيب (ﷺ) في أوامره وأفعاله وأخلاقه والتأدب بأدبه قولاً وفعلاً وعقداً ونية) (٣) .

فالغزالي يستخدم الأدب مرادفاً للتربية ومؤدباً لنفس الهدف وهذا واضح أيضاً في قوله بعد ذلك (ومن تأدب بأدب الصالحين فإنه يصلح لبساط الكرامة وبأدب الأولياء لبساط القربة وبأدب الصديقين لبساط المشاهدة ، وبأدب الأنبياء لبساط الأنس والانبساط ومن حرم الأدب حرم من جوامع الخيرات) (٤) .

وكذلك جاء اللفظ لدى الغزالي أيضاً في الإحياء بمعنى التربية حيث يقول: (التصوف كله أدب لكل وقت أدب ولكل حالة أدب ولكل مقام أدب فمن لزم أدب الأوقات بلغ مبلغ الرجال ومن ضيع الأدب فهو بعيد من حيث يظن القرب

---

(١) كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ،جـ١ ص٧١، دار الكتب العلمية الطبعة الأولى سنة ١٩٩٨م .

(٢) المرجع السابق ج١ ص٧١ ، ٧٢.

(٣) روضة الطالبين ، للإمام الغزالي ، ١٩ مكتبة الجندي بدون تاريخ .

(٤) المرجع السابق ص١٩ .

ومردود من حيث يرجو القبول : وقال أيضاً حسن الأدب الظاهر عنوان حسن أدب الباطن) (١) .

فالتصوف كله أدب أي كله تربية لكن هذه التربية تختلف من وقت لآخر ومن حالة إلى أخرى ومن مقام إلى آخر .

مما سبق يتضح أن لفظ (أدب) استخدمه علماء الإسلام بمجموعة معان منها التهذيب ورياضة النفس واكتمال الخلق وتقويم السلوك وهي كلها من معاني التربية وجاءت أيضاً مرادفة للفظتي التربية والتعليم .

رابعاً : تعريف الرياضة :

تعرف في اللغة : (من راض المهر رياضاً ورياضة ، ذلله فهو رائض وراض نفسه بالتقوى وراض القوافي الصعبة) (٢) .

وهذا المعنى اللغوي بما يتضمنه من تذليل وتهذيب قريب الصلة من معنى التربية .

والرياضة في الاصطلاح عبارة عن (تهذيب الأخلاق النفسية فإن تهذيبها تمحيصها من خلطات الطبع ونزعاته) (٣) .

ويعرفها التهانوي حيث يقول (هي استبدال الحال المذمومة بالحال المحمودة ، وقال بعض الحكماء الرياضة الإعراض عن الأعراض الشهوانية وقيل الرياضة ملازمة الصلاة والصوم ومحافظة أناء الليل والنوم عن موجبات الإثم واللوم وسد باب النوم والبعد عن صحبة القوم) (٤) .

والرياضة مصطلح صوفي عبارة عن تهذيب النفس وتربيتها وتأديبها بقصد الوصول بها إلى مكارم الأخلاق يقول السهروردي البغدادي (فالصوفية راضوا نفوسهم بالمكابدات والمجاهدات حتى أجابت إلى تحسين الأخلاق وكم من نفس تجيب إلى الأعمال ولا تجيب إلى الأخلاق فنفوس العباد أجابت إلى الأعمال

---

(١) الإحياء للغزالي جـ٣ ص٧٤.
(٢) لسان العرب لابن منظور جـ٦ ، ص٢٦٣ .
(٣) التعريفات للجرجاني ،ص١٠٠ .
(٤) كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ، جـ٢ ، ص٢٢٦ .